

نظريات نشأة اللغة

لم تصل الأبحاث الكثيرة التي قام به اللغويون قديما وحديثا إلى نتيجة حاسمة في تفسير موضوع (نشأة اللغة)، فما وصلت إليه هذه الأبحاث لا يعدو كونه افتراضات ونظريات.

1/ نظرية التوقيف والإلهام: خلاصة هذه النظرية عند القائلين بها أن اللغة الإنسانية إلهام ووحى من الله عز وجل لا يد للإنسان في وضعها، فهو أعجز من ذلك، فهي توقيفية لا مجال للاجتهاد فيها.

من أقدم الباحثين القائلين بها نجد الفيلسوف اليوناني (هيراكليت ت480 ق.م)، ومن العصر الحديث الفيلسوف (دوبولاند ت1840م). اعتمد غير المسلمين على أدلة نقلية، فقد ورد في التوراة أن الله تعالى خلق جميع الحيوانات والطيور ثم عرضها على آدم عليه السلام ليرى كيف يسميها، فوضع آدم أسماء لجميع الحيوانات المستأنسة.

يعدّ (أحمد ابن فارس ت395هـ) من أشهر العلماء المسلمين القائلين بهذه النظرية، فقد خصّص لها بابا في كتابه (الصاحبي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها) سماه (القول على لغة العرب أتوقيف أم اصطلاح) وقال فيه: إن لغة العرب توقيف، ودليل ذلك قوله تعالى: "وعلم آدم الأسماء كلها" سورة البقرة آية 31. فكان ابن عباس يقول: علمه الأسماء كلها، وهذه هي التي يتعارفونها الناس من دابة، وأرض، وسهل، وجبل، وأشباه ذلك من الأمم وغيرها. وقال غيرهما: إنما علمه أسماء الملائكة، وقال آخرون: إنما علمه أسماء ذريته أجمعين. والذي نذهب إليه من ذلك ما ذكرنا عن ابن عباس". الصاحبي ص13. أما ابن جني (ت392هـ) فقد عرض هذه النظرية ولم يجزم بها كابن فارس، بل تردّد فيها هو وشيخه أبو علي الفارسي بين التوقيف والإلهام، والقول بالاصطلاح والتواضع.

نقدها: نُقدت هذه النظرية من جوانب عدّة وهي:

1/ إن نصّ التوراة يُضعف دليلهم، وأنه حجة عليهم لا لهم، لأن فيه إشعارا بأن آدم عليه السلام هو الذي وضع الأسماء.

2/ الآية التي احتج بها علماء المسلمين لي دليلا قاطعا، فقد اختلف المفسرون في المراد بالأسماء.

3/ لو كانت توقيفة لما جاز لنا أن ندخل فيها شيئا من مصطلحات العلوم والفنون؛ إضافة إلى حدود ظواهر لغوية كالترادف، والمشتراك اللفظي، والتضاد لدليل على أن اللغة ليست كلها توقيفية.